



المجلة الجزائرية للعلوم – سلسلة ب

آداب وعلوم الإنسانية

ISSN : 2661-7064

<http://univ-eltarf.dz/fr/>



مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير

Les Références du Mouvement Etudiants Algérien et les

Circonstances de sa création pendant la Guerre de Libération.

الأستاذة: حورية كيحل / الأستاذة: إيمان قماص

- جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة / جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

ملخص:

جاءت هذه الورقة البحثية الموسومة بـ "مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير" لمعالجة بعض القضايا ذات الصلة متمثلة في؛ المثقفين الجزائريين وميلاد التنظيمات الطلابية الجزائرية من حيث المفهوم والمكونات الفكرية وظروف نشأتها، وقد حاولنا من خلالها إبراز مراهات المدرسة الفرنسية وأطروحاتها في تكوين جيل فرانكفوني متشبع بالمبادئ اللاتينية وميالا لخدمة السياسة الفرنسية. بالإضافة إلى المكونات الفكرية والإيديولوجية للطلبة المعربين في المؤسسات والجامعات العربية والإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الطلبة، الحركة الطلابية الجزائرية.

Résumé:

Ce document de recherche « Les références du mouvement étudiants algérien et les circonstances de sa création pendant la guerre de libération » visé à traiter quelque problème connexes sont ; les intellectuelles algériens et la naissance des organisations étudiantes algériennes en termes de concept et les enjeux intellectuelles, ainsi que les conditions de leur naissance, à travers lequel nous avons essayé de mettre en évidence le pari scolaire français et ses propositions pour formes une générations francophone imprégnée des principes laïque au service de la politique française. Outre les étudiants arabisants et leurs composantes idéologiques, et intellectuelles dans les différents institutions et universités arabes et islamiques.

Les mots clé: les Etudiants, Mouvement des Etudiants Algérien.

مقدمة

الإيجاد والتملك و البطولة ، فالإيجاد ومعناه الإبداع قوة إنسانية تكمن في قلب كل طالب وطالبة وتحب الانفلات من مرقدها الخفي لتصبح فعلا حقيقيا يمشي ويتحرك في كل اتجاه و يزرع بذور العطاء، وهذا الإبداع الأولي صفة من صفات الطلاب ... لكن فعل الإبداع أولا والترقية ثانيا لا يستطيعهما غير بطل مغامر لا يهاب ماضيا ولا مستقبلا، فالبطولة صفة ثالثة تلزم الطلاب وفعلها مبدعا ومسؤولا، ولابد من الصفة الرابعة وهي الإبطال والإبطال بمعنى الإلغاء والتحويل والتغيير هكذا أفهم معنى الطلبة " .. (1)

والحقيقة أن كلمة الطلبة تقرن دائما بالجامعة في مفهومنا الحاضر، هذه المؤسسة العلمية الراقية التي كانت ولا تزال تلهم الشباب الباحث بعناصر التمكين العلمي والمعرفي، وهي الروح الجامعية التي تتكفل بالتواصل.

الخلاف بين أبناء الأسرة الجامعية وأبناء الوطن وقد أشار أحد الباحثين بمكانة الجامعة في تكوين الطلاب بقوله: الروح الجامعية هي تواصل خلاف بين أبناء الجسم الجامعي وأبناء الجسم الوطني يجعل من الجامعة الرائدة الأولى إلى وعي القضايا الوطنية وفهم المعضلات الإنسانية، والروح الجامعية هي إخوة صادقة بين الأساتذة والطلاب قوامها التعاطف، التصادق والتصارح. وتنشأ بين الأستاذ والطالب عفوية وطوعية علاقة الهادي بالمهتدي أو صلة الإمام بالمريد "... (2).

ولعل من الخطأ الشائع الذي ما يزال سائدا حتى اليوم بين الأوساط الجزائرية المثقفة، أن مفهوم النشاط الطلابي يقصد به ذلك التنظيم التي اقتصر على قلة من الطلبة الجزائريين الذين أسعفتهم الظروف للالتحاق بالمعاهد الفرنسية وجامعة الجزائر وبدأ نشاطهم زمنيا عشية بداية الحرب العالمية الأولى. وهذا المفهوم نجده يعتمد أساسا على مبدأ الطلبة الحصول الاعتماد الرسمي من الإدارة الاستعمارية لتشكيل تنظيمات طلابية أو نقابات، وإذا كان هذا الرأي يستند على الترجيح الأوفر فإن فترة ما قبل 1900 لم تعرف بعد التشكيلات والتنظيمات سواء الاجتماعية أو

لعل الدارس لتطور القضية الجزائرية ما بين 1900 و1960 يجدها تكاد لا تشير إلى إسهام الفعاليات الشبانية في تفعيل الحدث التاريخي والنهوض بما هو راكد، وبالأخص مساهمة التنظيمات الطلابية والممثلة في توظيف العقل والفكر في إنجاز ذلك التحول الهام في تطور الجزائر الإيجابي بعد أن تفهمت العقلية الجزائرية خبايا الحركة الاستعمارية التي كثرت ما لجأت إلى توظيف العنف في إسكات الصوت الجزائري بل ونفي أصحابه إلى الخارج، و برغم كل ذلك فقد راهن جموع الطلبة على حتمية التغيير، وفضلوا تسيطر برنامج عمل جديد بغية إجهاد معاول الهدم الاستعمارية التي سخرتها الإدارة الاستعمارية لتحقيق أسطورة الجزائر فرنسية.

والحقيقة أن هناك إشكالية وتساؤل جوهري ما يزال يطرح نفسه أمامنا حتى اليوم وتتمثل فيما يلي: ما هي المرجعيات الحقيقية للتكوين الطلابي الجزائري وما حيثيات وظروف نشأتها؟

وجاءت هذه الورقة البحثية لمعالجة بعض القضايا كالمثقفين الجزائريين وميلاد التنظيمات الطلابية من حيث المفهوم والمكونات الفكرية وظروف ميلاد التنظيمات الطلابية وقد حاولت من خلاله إبراز مراهنات المدرسة الفرنسية وطروحاتها في تكوين جيل جديد فرانكفوني متشبع بالمبادئ اللاتينية أقل ما يقال عنه أنه كان ميالا لخدمة السياسة الاستعمارية، بالإضافة إلى المكونات الفكرية والأيدولوجية للطلبة المعربين في المؤسسات والجامعات العربية والإسلام

أولا- مفهوم الحركة الطلابية

لعل التعريف الشائع لمعنى الطلاب هو ذلك الشخص الذي يلتحق بالمؤسسة الثقافية لمزاولة الدراسة سواء في المدرسة النظامية أو الكتاتيب القرآنية أو الزوايا ونحوها، وعادة ما تقرن كلمة الطلبة بصفة الحركية والمسؤولية و الفضيلة و نحوها من الصفات الحميدة ، ومن تم فقد عرف البعض معنى الطلاب بقوله: " فالطلاب كلمة مربعة المعاني فيها

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير أ. كيجل حورية/ أ. ايمان قماص

السياسية إلا البعض القليل الذي كان على رأسها الفرنسيون. وهناك رأي آخر تتداوله بعض الألسن عند ذكرى حلول كل 19 ماي من كل سنة ومرده أن العمل الطلابي يعود أساسا إلى الإعلان عن ميلاد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، والذي أصبح تحت لواء الثورة التحريرية وإعلانه عن الإضراب العام سنة 1956، والحقيقة أن العمل الطلابي في الجزائر قد لازم دراسة الطلبة حتى خلال القرن التاسع عشر، ولم يكن وليد بداية القرن الماضي مثل ما جسده التنظيمات الطلابية التي امتازت بها الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

ولعل الدارس لتاريخ الجزائر الثقافي يجدها تزخر بزخم هام من الفعاليات الفكرية، على المستوى الوطني والمتمثلة في المؤسسات الفكرية والزوايا والكتاتيب القرآنية والمساجد والمدارس الحرة والتي يعود لها الفضل الكبير في المقاومة الفكرية، والصمود أمام سياسة المسخ الاستعمارية من جهة، ومن جهة أخرى تشبعها بالمبادئ الدينية والخلقية، وإشهار السلاح في وجه التوسع الاستعماري، واتضح ذلك في زعماء المقاومة الشعبية الذين كانوا يمثلون الطرق الصوفية والزوايا.

وهناك جالية طلابية لا يمكن تجاهلها في دراستنا هذه وهي الهجرات الجزائرية الكثيرة التي رفضت العيش تحت نظام وعلم السلطة الفرنسية، وكان العديد من أبناء هذه الهجرات قد التحق بحلق العلم وتكون تكويننا دينيا ووطنيا، هذا ناهيك على الهجرات الطلابية المنظمة باتجاه جامع الزيتونة بتونس وجامعة القرويين بالمغرب أو الأزهر الشريف أو بلاد الحجاز والشام، وحتى إلى تركيا مقر الخلافة الإسلامية.

وإذا كان تعليم الطلبة الجزائريين وقتئذ لم يخضع لتنظيمات محددة؛ فإن ذلك لا يعني أن تكوينهم وثقافتهم كان خاليا من الروح الوطنية الراضية للمد الاستعماري وتواجده في الجزائر.

ومن المعلوم أن العمل الطلابي هو الذي أنجب ميلاد تيارات الحركة الوطنية الجزائرية المنظمة منذ الإعلان السياسي إلا البعض القليل الذي كان على رأسها الفرنسيون. وهناك رأي آخر تتداوله بعض الألسن عند ذكرى حلول كل 19 ماي من كل سنة ومرده أن العمل الطلابي يعود أساسا إلى الإعلان عن ميلاد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، والذي أصبح تحت لواء الثورة التحريرية وإعلانه عن الإضراب العام سنة 1956، والحقيقة أن العمل الطلابي في الجزائر قد لازم دراسة الطلبة حتى خلال القرن التاسع عشر، ولم يكن وليد بداية القرن الماضي مثل ما جسده التنظيمات الطلابية التي امتازت بها الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

ولعل الدارس لتاريخ الجزائر الثقافي يجدها تزخر بزخم هام من الفعاليات الفكرية، على المستوى الوطني والمتمثلة في المؤسسات الفكرية والزوايا والكتاتيب القرآنية والمساجد والمدارس الحرة والتي يعود لها الفضل الكبير في المقاومة الفكرية، والصمود أمام سياسة المسخ الاستعمارية من جهة، ومن جهة أخرى تشبعها بالمبادئ الدينية والخلقية، وإشهار السلاح في وجه التوسع الاستعماري، واتضح ذلك في زعماء المقاومة الشعبية الذين كانوا يمثلون الطرق الصوفية والزوايا.

وهناك جالية طلابية لا يمكن تجاهلها في دراستنا هذه وهي الهجرات الجزائرية الكثيرة التي رفضت العيش تحت نظام وعلم السلطة الفرنسية، وكان العديد من أبناء هذه الهجرات قد التحق بحلق العلم وتكون تكويننا دينيا ووطنيا، هذا ناهيك على الهجرات الطلابية المنظمة باتجاه جامع الزيتونة بتونس وجامعة القرويين بالمغرب أو الأزهر الشريف أو بلاد الحجاز والشام، وحتى إلى تركيا مقر الخلافة الإسلامية.

وإذا كان تعليم الطلبة الجزائريين وقتئذ لم يخضع لتنظيمات محددة؛ فإن ذلك لا يعني أن تكوينهم وثقافتهم كان خاليا من الروح الوطنية الراضية للمد الاستعماري وتواجده في الجزائر.

ومن المعلوم أن العمل الطلابي هو الذي أنجب ميلاد تيارات الحركة الوطنية الجزائرية المنظمة منذ الإعلان السياسي إلا البعض القليل الذي كان على رأسها الفرنسيون. وهناك رأي آخر تتداوله بعض الألسن عند ذكرى حلول كل 19 ماي من كل سنة ومرده أن العمل الطلابي يعود أساسا إلى الإعلان عن ميلاد الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، والذي أصبح تحت لواء الثورة التحريرية وإعلانه عن الإضراب العام سنة 1956، والحقيقة أن العمل الطلابي في الجزائر قد لازم دراسة الطلبة حتى خلال القرن التاسع عشر، ولم يكن وليد بداية القرن الماضي مثل ما جسده التنظيمات الطلابية التي امتازت بها الجزائر بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.

ولعل الدارس لتاريخ الجزائر الثقافي يجدها تزخر بزخم هام من الفعاليات الفكرية، على المستوى الوطني والمتمثلة في المؤسسات الفكرية والزوايا والكتاتيب القرآنية والمساجد والمدارس الحرة والتي يعود لها الفضل الكبير في المقاومة الفكرية، والصمود أمام سياسة المسخ الاستعمارية من جهة، ومن جهة أخرى تشبعها بالمبادئ الدينية والخلقية، وإشهار السلاح في وجه التوسع الاستعماري، واتضح ذلك في زعماء المقاومة الشعبية الذين كانوا يمثلون الطرق الصوفية والزوايا.

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير أ. كيحل حورية/ أ. ايمان قماص

الأنتلجنسيا البرعمية الاستحقاق التاريخي لإطلاق فكرة عامة على المجتمع الجزائري (6)

وحسب دراسة كولونا فإن عدد الطلبة الذين كانوا يقصدون جامع الأزهر فاق بكثير عدد الطلبة الذين كانوا يدرسون في مدرسة الجزائر، وحتى عدد الطلبة الذين يقصدون الجامعات الإسلامية فاق بكثير عدد الطلبة الذين يتوجهون لاستكمال دراستهم في فرنسا. (7)

وإذا كانت سياسة القضاء على الأمة الجزائرية عسكريا قد استعصت على الاستعمار الفرنسي نظرا لأسلوب الاستماتة الذي استعمله الجزائريون والذي لم يكن في الحسبان، فإن سياسة التغريب اللغوي وتهديم التحصينات الذاتية وتجريد الجزائريين من مقومات الشخصية الوطنية وإدماجهم في كينونة المجتمع الفرنسي روحا وثقافة وفكرا نبحت إلى حد كبير وخصوصا مع بعض الفئات الجزائرية قبل بروز ملامح النهضة الوطنية الجزائرية خلال العشرية الأولى من القرن الماضي.

و لعل الدارس للأنتلجنسيا الجزائرية خلال القرن الماضي يجدها مقسمة في تكوينها الفكري ومشاربها الأيديولوجية إلى قسمين أساسيين، أولها هو التيار الطلابي الذي شرب من تشبع بالمبادئ الغربية، وتعلم اللغة الفرنسية، وتأثر بمبادئ الثورة الفرنسية، والقسم الثاني يمثله التيار الطلابي المعرب الذي نهل من العلوم الدينية وتشبع بالمبادئ الإسلامية وتقرى على الحضارة العربية ولذلك فلا غرابة من أن نجد أن الانتماء الفكري ينعكس أساسا على التنظيمات الطلابية التي عرفت الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين مع مطلع النهضة الجزائرية وبداية العمل السياسي المنظم.

والظاهر أن الاختلاف في منابع التكوين الفكري والمحيط الجغرافي، وحتى الانتماء العائلي قد ترك فعلته على مسار تطور الحياة الطلابية، بل دفعها أحيانا إلى الجنوح نحو الصراع وحتى التآكل الذاتي، وبذلك من الاختلاف في الطروحات والمناهج وكان الاختلاف في المبادئ وسع من الهوة بين أجنحة الأنتلجنسيا حول

الكتاتيب القرآنية والمدارس الحرة التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين أو حزب الشعب الجزائري، وهذه المجموعة تمثل أكثرية الطلبة ولكن استفاد منها العدد القليل جدا من التكوين بالجامعات والمعاهد العربية والإسلامية. ومن تم فإن مصطلح التربية قد عرفها البعض بكونها جماعة متميزة لها من الإمكانيات ما ترجع إليه العامة، وهي التي بلغت الحد الأعلى أو الرقم القياسي في مجال النشاط، وهذه الجماعة هي التي تملك مراكز التفوق والسمو في المجتمع وهي الأقلية الفعالة والمسؤولة التي هيأت لخدمة الأكثرية بطريقة مقيمة اجتماعيا، وهي التي تؤدي الوظائف الراقية في المجتمع (5)

والشيء المؤكد أيضا أن حالة الطلبة الجزائريين كانت أكثر سوءا من وضعية طلبة المعمرين، لذلك فلا غرابة أن نجد هذا الفارق سيساهم بقسط كبير في تكوين مناخ سوف تنشأ فيه جملة من مطالب الطلبة سواء منهم الأجانب أو الجزائريين، وهي أشبه ما يكون بالعمل النقابي داخل لجان الأحياء الجامعية بدعوى إصلاح شؤونهم المادية والاجتماعية، وقد تحول ذلك العمل النقابي مرحليا إلى تكوين جمعيات طلابية قادت على عاتقها النضال الطلابي داخل المؤسسات الجامعية.

ثانيا-مرجعيات التكوين الطلابي في المدارس الفرنسية

لقد عرفت الجزائر مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تحولات ثقافية هامة بعد الأزمة العميقة التي عرفتھا المشهد الثقافي الجزائري بعد انهيار النظام التربوي والديني انهيارا جزئيا بعد إقامة نظام تربوي استعماري يقوم على تجهيل جماعي وتحول جزئي محافظ وبرز هش لعناصر قضاء ثقافي جديد.

إن المثقفين الجدد الذين برزوا من الساحة الثقافية، خلال هذه الفترة برغم عددهم المحدود فهم العوامل المحركة لميلاد هذا النمط الثقافي الجديد، ولو أنهم كانوا منقسمين إلى توجهات متعددة بتنازعهم الغرب الذي يفرض نفسه بنجاحه المادي، والفكر العربي الإسلامي الذي ظل يجتذبهم لتواصل حقيقي وكان لهذه

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير أ. كيجل حورية/ أ. ايمان قماص

في صلب السياسة السيكلوجية لغسل عقول الجزائريين، و تربية الناشئة على قبول الوجود الفرنسي في الجزائر عملت السلطة على اقتفاء أثر العائلات الأهلية التي كانت تمثل الأعيان خلال التواجد العثماني في الجزائر، أو التي أوجدتها هي في نطاق تفكيك المجتمع و إيجاد كيانات أسرية جديدة مدعمة ماديا و معنويا و عملت سلطة الاحتلال على تكوين جيل من المتفرنسين ونخبة من أبناء هذه العائلات الأهلية وفق نموذج المدرسة الفرنسية(9)، التي ألهتهم بالتدرج للانتقال إلى المجتمع الغربي باعتبار أن المدرسة تسهم في نقل التلميذ أو الطالب من كونه طفلا يعتمد على

أسرته بصورة كلية إلى مواطن يكتسب المعرفة والقدرة التي تساعده على القيام بالمهارات بصورة تدريجية، أي نقل الطالب من نموذج الأسرة إلى نموذج المجتمع بعد إعداده لتقبل مطالب الحياة وفق ما أكتسبه من مفاهيم وخبرات بغية الاندماج في المحيط الجديد .

وهكذا مكنت الإدارة الاستعمارية لنفسها من خلال تغريب هؤلاء النخب المنتمين لهذه العائلات الأهلية وألحقتم إلى قطاعاتها الإدارية والعسكرية والاقتصادية، واستطاعت أن تكون منها محاور أساسية تلتجئ إليها عند الحاجة عبر مناطق عديدة من الجزائر سواء في المدن أو التجمعات الحضرية أو القرى وحتى المداشر ونحوها من تواجد الجزائريين.

كما أعطت لهذه العائلات صلاحيات معينة جعلت منها همزة وصل بينها وبين باقي الجزائريين، وجعلت من فصائل هذه العائلات قياد وباشاغات ومترجمين وإداريين وعسكريين، ومنحتهم الرتب والنياشين جزاء نوعية الخدمات التي يقدمونها لها.

والدارس لهذه العائلات من الوجهة التاريخية يجد بعضها كان معروفا قبل الاحتلال والبعض الآخر مكنته فرنسا فيما بعد وجعلت منهم مترجمين، ومن هذه عائلة بن قانة بمنطقة الزاب، وعائلة بوضربة وحمدان خوجة بالعاصمة، وعائلة فرعون ببلاد القبائل، وبن الفقون بقسنطينة وعائلة ابن بريهمات بالعاصمة وعائلة ابن داود في وهران، وغيرهم من العائلات التي تجنس بعض

قضايا الفكر ولعل ذلك ما وضحه المستشرق الفرنسي أغوستين بيرك في كتاباته حول النخبة في شمال إفريقيا سنة 1946 بقوله "إنهم هنا يفكرون ليس من أجل التفكير وإنما ضد بعضهم البعض".(8)

ولعل المتتبع لأنتليجانسيا الجزائر مع بداية القرن يجد أن حدة الصراع قد طفت حتى السطح حتى بين الأوساط التي تخرجت من المدرسة الفرنسية وأصبحت تفقد مصداقيتها عند القاعدة العريضة من الجزائريين لأن السلطة الفرنسية نجحت في استمالتها وبذلك تتحول طبقة الأنتليجانسيا المفروسة أشد خطرا على المجتمع من الفرنسيين أنفسهم وتحول جهدها الفكري إلى صراع البيانات وصناديق الانتخابات والامتيازات وتعطل بذلك النمو السياسي للجزائريين خلال تلك الفترة، وأصبح التخندق في صف المصالح الذاتية.

وبعد نهاية الحرب العلمية الأولى برزت ملامح الانشطار بين صفوف هذه الكتلة ودخلت فيما بينها إلى حرب التهم والبيانات، وخير مثال على ذلك كتابات الأمير خالد على صفحات جريدة الأقدام ضد أولئك المارقين سياسيا والذين قبلوا بالتوظيف على حساب الطبقة العريضة من الجزائريين.

لذلك فلا غرابة أن نجد الإدارة الفرنسية تتفطن في وقت مبكر إلى محاربة أفكار الأمير، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك وقامت بغلق بعض المؤسسات التعليمية الحرة بعد أن رأت فيها خطرا يهددها رغم حداثة نشأتها وخير مثال على ذلك المدرسة الحرة التي تأسست في تلمسان سنة 1920، وقد غلقتها بعد زيارة الأمير خالد للمنطقة وتخوفها من نشاطه .

ولقد شملت سياسة التعليم الفرنسية في الجزائر شريحة معينة من أبناء الجزائريين دون غيرهم من السواد الأعظم ممن رفضوا التعايش مع طبيعة الاستعمار ونفروا من مؤسساته التعليمية. وأما عن الشريحة التي أسعفها الحظ النهل من المدرسة الفرنسية ذلك أن مرده إلى جملة من المعطيات منها:

1- المقوم الاجتماعي

يعد من العوامل الكفيلة في إيجاد أسباب الحصول على مقعد في التعليم بالمدارس الفرنسية، ولو أن ذلك يندرج

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير أ. كيجل حورية/ أ. ايمان قماص

وقد أشار إلى ذلك بن باديس في منهجيته الاصطلاحية وركز على أهمية المكونات المكتسبة، فالمرء يعرف من سباحات وجهه وفلتات لسانه وكثيراً ما تدل: «تأثر عن الحياة الاجتماعية بقوله كلماته على مهنته أو فكرته أو عقيدته، كما تدل هيئته أو لبسته أو شمائله وما يباشره المرء تنطبع به نفسه ويصطبغ به خياله فيجري على لسانه في تشبيهاته وتمثيلاته وفنون قوله" (10).

سلوك الفرد وتفكيره لا يمكن أن يكون في غياب اللغة لأن الإنسان لا يعيش وحيدا في هذا العالم الاجتماعي، إذ تعتبر اللغة هي الوسيط بينه وبين مجتمعه، ومن ثم فهي الوسيلة الفاعلة في نموه الشخصي، وقد دلت العديد من الدراسات اللغوية والنفسية والتربوية على عامل اللغة في

اكتساب الشخصية، لأن هناك علاقة وطيدة بين اللغة والفكر فاللغة تقدم للفكر تعاريف جاهزة وتصف الأشياء بخصائصها حتى لا تتداخل مع غيرها فهي تساعد المفكر في عمله إذ تزوده بصيغ وتعابير معروفة وتضع تحت تصرفاته أساليب مدروسة .

وكان التعليم الفرنسي في الأساس يهدف إلى خدمة الجالية الفرنسية، وكانت الثانويات والكلليات إنما أنشأت للأوروبيين وقلما يدخلها غيرهم، وكان التعليم يعطى باللغة الفرنسية ولا يعطى باللغة العربية في بلاد شعبها عربي لأن هدف الإدارة الفرنسية هو إحداث الذبذبة العقلية ومسح الهوية العربية الإسلامية.

ولعل الشيء المؤكد أن إلزامية تعلم أبناء الجزائريين باللغة الفرنسية هو إرساء لبناء مجتمع جزائري جديد مكون من هجين لغوي يتدرج في نموه النفسي من قابلية تبني اللغة الفرنسية حتى تصبح لغة رسمية وبالمقابل التخلي عن اللغة الأم وهي العربية باعتبارها غير مدرسة وغير موظفة.

وبالتالي فهي لغة غير مرغوب فيها ويضحي هذا السلوك اللغوي مبعثه الرغبة في عقد علاقة اجتماعية ويمثل ذلك السلوك بمهد المتكلم للأخذ في الحديث الأساسي ويستدرج السامع إليه لجذبه والتأثير عليه وترك البصمات على شخصيته .

أفرادها بالجنسية الفرنسية التي مقتها رجال الإصلاح ونددوا ضد الذين قبلوا بها.

وكانت مهمة هذه العائلات أشبه ما يكون بالخدم والمعين للاستعمار، وقد أثبتت بعض الدراسات في هذا المجال أن 431 قائدا أو باشاغا من مجموع 721 كانوا يشتغلون هذا المنصب سنة 1937 ولم تكن لديهم ثروة ولا مال مع بداية الاحتلال، وقد تولد عن زوال المدرسة التقليدية وبروز المدرسة المخضمة (1880_1848) بحسب تقسيم سعد الله بروز الجيل الأول من الجزائريين خلال عهد الستينيات من القرن 19 ممن يسمون بدعاة الفرنسية وينادون بقابلية التعايش مع الفرنسيين. مع العلم أن هناك من يرى أن السلم الاجتماعي لم يكن لوحده الدافع السياسي للاندماج ولعل ذلك ما أشار إليه الكاتب لوترنو حول دراسته لعائلة فرحات عباس وقال: أنها لم تفضل إرسال ابنها إلى فرنسا وفضلت إدخاله إلى جامعة الجزائر بعد إتمامه لأداء الخدمة العسكرية سنة 1923 لقد أصبحت الازدواجية اللغوية بادية لدى جيل نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وتمثلت في خريجي المدارس الشرعية الثلاث و في بعض خريجي كلية الآداب و ما عرفته جريدة المبشر الرسمية التي استمرت إلى 1927 وتطورت مع إدارة جديدة ومحررين جدد، وكانت الغيرة الوطنية غائبة عند معظم الذين تلقوا تعليما مزدوجا في العهد الفرنسي، وكانت جهود معظم الذين تعلموا الفرنسية كلها قد انصبحت على الترجمة و النقل من الفرنسية إلى العربية.

2- المقوم اللغوي

تلعب اللغة دورا فعالا في حياة الفرد إذ تعتبر الركيزة الأولى التي يعتمد عليها في عملية الاتصال بالعالم الخارجي حيث لا تقاليد ولا ثقافة ولا اتصالات إلا بوجود اللغة تمكننا من تدوين معارفنا وتعليمها للأجيال القادمة كما تسمح لنا ببناء علاقات اجتماعية مختلفة ولا يمكن أن تتصور وجود تقاليد وثقافات بانعدام اللغة كما تعتبر اللغة ميكانيزما من ميكانيزمات التكيف والتوافق الاجتماعي.

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير أ. كيجل حورية/ أ. ايمان قماص

الأساسية لنمو الأفكار و تغذيتها للمتمدرسين، و ركزت بالدرجة الأولى على توصيل تراثها وتقديره في قوالب مغربة للجزائريين، و جعلت من حضارتها و تاريخها مكسبا أساسيا لأبد من الأخذ به، و عمقت من هذه المفاهيم في برامجها التكوينية حتى تغرس مفاهيم التفوق الفرنسي في نفوس الطلبة الجزائريين و تضحي قناعات لديهم من الوجهة الاجتماعية باعتبار أن لغة التكوين وهي الفرنسية و من خلالها يتم تبلور الخبرات البشرية و تجارب الأمم ، وتدون التراث الثقافي كي يحتفظ به جيلا بعد جيل، ومن ثم يتم تعديل الفرد من سلوكه كي يتلاءم مع المجتمع الجديد، فعندما يتعلم المرء تلك الصيغ الجديدة ويردها في الظروف المناسبة فإنه يحاول أن يصنع سلوكه كفرد لما يقتضيه المجتمع(10). وهكذا نجد أن طابع التعليم الرسمي الذي تلاه الطلبة الجزائريين سواء في الداخل أو المهجر أكسبهم تربية خاصة ونوعا من الديمقراطية المستوحاة من فلاسفة القرن الثامن عشر ومبادئ الثورة الفرنسية 1789 ، وقد تلقنوا بأفكار الحرية و المساواة و العدالة وحقوق الإنسان و هذه المبادئ و الأفكار كانت منعقدة ومرفوضة من طرف السياسة الفرنسية، و لهذا فإننا نجد أن الكثير من الطلبة الجزائريين الذين اقتنعوا بهذا التكوين وتشبعوا بهذه المبادئ، وهم على مقاعد المدارس و الجامعات. هذا في حين نجد أن مالك حداد يتأثر هو الآخر بسياسة التعليم الفرنسية بل ويناشد سياسة التعليم التي تبناها بول برنار مدير مدرسة المعلمين ببوزريعة حينما يقول: "إننا نقدم لتلاميذنا من أبناء الأهالي معلومات قيمة عن عظمة فرنسا وعن قوتها العسكرية وعن تراثها الهائل(11). وقد تيقن الفرنسيون أن العقبة أمامهم في المغرب العربي، وفي الجزائر هي مدى تشبث الأهالي وما عطفهم على هويتهم استعمالهم للغة العربية، في حين تذهب بعض الدراسات إلى عكس ذلك وجعلت من اللغة الفرنسية هي همزة تواصل وتعارف وتقارب بين العرب والبربر والكولون وكونت بذلك نموذجاً واحداً كما كانت الجامعة هي بدورها ميّزاً هاماً لتمرير أفكار الاستشراق وغرس ثقافة الشك في نفوس الطلبة

وقد اعتمد الوجود الفرنسي في الجزائر على عنصر اللغة في تمكين بقائه، وأعلن الفرنسيون منذ البداية على لسان قادتهم أن هدفهم هو تمدين الجزائريين المتوحشين وإن لهم رسالة حضارية يؤدونها. وبذلك سخرت الإدارة الاستعمارية الإمكانيات الكفيلة لتعليم اللغة الفرنسية للجزائريين حتى تكون منهم نخبا مميزة ناطقة بلغتها ومقلدة ومنفذة لأوامرها وخادمة لحضارتها، وبذلك تتمكن من إحلال النظم الفرنسية محل النظم الإسلامية القائمة، وجعل اللغة الفرنسية هي لغة السيادة والوصول إلى نقطة الاندماج حتى يصير المجتمع الجزائري مجتمعا مفرنسا. ومن ثم تصبح اللغة العربية لغة ميتة عاجزة على أن تصبح لغة عصر وحضارة وينتهي أمرها كما وقع للغة اللاتينية والإغريقية.

واحتوى البيان الفرنسي الذي وزع على الجزائريين عشية الاحتلال على العديد من المغالطات التي أوهمت بها فرنسا

الجزائريين، منها ادعائها أن قدومها سوف يمدن الجزائريين ويكسب لهم الرخاء ويزيل عنهم بطش الأتراك.

وقد عمل الفرنسيون على تلقين اللغة الفرنسية كي تكون نواة بؤرة التوتر ومصدر الفتنة اللغوية بين الجزائريين وحتى يقول أصحابها المناداة بالاندماج والاستغراب في الوقت المناسب، والظاهر أن الفرضية الفرنسية لم تثمر في وقتها، لأن جيل الثلاثينيات من القرن التاسع عشر لم يؤول إلى ذلك المصعب، وأن الأصوات الجزائرية لم تصرخ بتقليد الفرنسيين إلا في الستينات من القرن التاسع عشر، أي بعد جيل من الاحتلال. برغم بروز نفر قليل من الجزائريين من دعا إلى الأخذ بالتمدن الفرنسي. ولو أنها ظلت أصواتا خافتة وكانت أصواتهم لا تخرج عن الدعوة إلى العلم وإلى تعلم الفرنسية وهناك من العلماء المسلمين الجزائريين من دعا إلى هذا التوجه حتى قبل الاحتلال.

3- المقوم التراثي

لقد رصدت المدرسة الفرنسية في برامجها التعليمية، معالم أساسية و هامة تعد هي بمثابة المرجعية

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير
الجزائريين وكانت تعطي لهم دروسا تحت غطاء خدمة
العربية ودراسة التراث والأثار.

4- المقوم الديني

لقد أشرنا سابقا كيف وظفت فرنسا سياسة التنصير ونشر المسيحية في خدمة سياسة سياستها الاستعمارية، وكانت ترى في إسلام الجزائريين العقدة المؤكدة في سبيل بقائها في الجزائر، وأن تنصير الأطفال وتجنس الكبار هو المعبر الأوضح لإنجاح المنظومة الاندماجية وقد ازدادت تفوقا بعدما لاحت طلائع العمل السياسي مع نهاية القرن التاسع عشر.

ولذا فلا غرابة أن نجد الآب دوفوكو يوسع من نشاط مشروعه التبشيري عشية الحرب العالمية الأولى في سنة 1912 كتب إلى الدوق فيتز جيمس موضحا له خطورة المسلمين المتشبعين بالعقيدة و أن بقاء فرنسا في شمال إفريقيا مرهون بإفراغ المجتمع من إسلامه و تعويض ذلك بالمسيحية إذ يقول: "إنني اعتقد بأنه إذا لم تستطع تحويل المسلمين بالتدريج عن دينهم و جعلهم على اعتناق المسيحية فإن النتيجة الحتمية هي تكون روح قومية جديدة تؤدي إلى طردنا من الإمبراطورية الاستعمارية في شمال إفريقيا...إن الروح الوطنية العربية البربرية سوف تنمو في صفوف الطبقة المثقفة التي تستعمل الإسلام كسلاح فعال لإثارة الجماهير الجاهلة في إمبراطورياتنا الفرنسية في أيامنا السود...إن السبيل الوحيد لضمان عدم طردنا من هذه الإمبراطورية هو أن نجعل سكان البلاد فرنسيين والسبيل الوحيد لذلك هو جعلهم مسيحيين..."

وقد أفرزت مدرسة التنصير نخب لا وطنية، ببلاد المغرب العربي عموما(12) والجزائر على وجه الخصوص، وتنكروا للدين الإسلامي واللغة العربية والرصيد التراثي، واعتبرت أن المرجعية التاريخية هي عقبة أمام تطور الجزائريين، وهي عائقا أمام سياسة الدمج والاستلاء، وبذلك بعث هذه الزمرة إلى محاربة كل ماله صلة بالوطن الأم الجزائر.

وبالفعل فقد وظف الاستعمار حركة التنصير بوسائل عديدة، حتى أقلقت العديد من الجزائريين المتشبعين

أ. كيجل حورية/ أ. ايمان قماص
بالعقيدة الإسلامية والوطنية، وأصبح لزاما عليهم التصدي لهذه الظاهرة الاندماجية.

وبرغم ذلك كله فإن المنظومة الاستعمارية، سببت مناعة مقومات الشخصية التي اكتسبها خلال مرحلة التنشئة، وخير مثال على ذلك الأمير خالد الذي ربط بين الأصالة والمعاصرة وكيف حركته السياسية و فق الظرف الزمني الذي عاصره، حتى أن مطالبه لم تكن اندماجية بل دعا إلى المساواة والحفاظ على مقومات الشخصية العربية الإسلامية، وقد كتب ابن باديس عن مكانة خالد الوطنية في كلمة تأيينه بعد وفاته 1936 بقوله: "إن الأمير خالد رجل يعتبر بقوميته ومسلم يحمل غيرة صادقة على دينه و كان صلب الرأي قوي الإيمان صريح القول دافع عن وطنه حتى فارقه و ذهب ضحية عقيدته و جهاده و دفاعه".

وكان التيار الشيوعي دوما خادما لسياسة الاندماج، وحاقدا على الدين الإسلامي ومتبنيا للأيديولوجية الاستعمارية، واعتبر أن الجزائر مرجعية الديانة الإسلامية هي التي جعلت من الجزائر أمة متخلفة، بل نجد أن الأمين العام للحزب الشيوعي موريس طويريس خلال زيارته للجزائر في فيفري 1939 أن الأمة الجزائرية هي في طور التكوين وهي خليط من العديد من الأجناس المختلفة منها البربر والعرب.

وقد غرس التيار الشيوعي مبادئ حزبه وسط المؤسسات الثقافية ونشر أفكاره التي وجدت برامجها بين العديد من الطلبة الجزائريين وخصوصا الذين درسوا في المؤسسات الفرنسية، ولذلك فلا غرابة أن نجد هذه الزمرة تعبر عن سياسة الاندماج خلال الأربعينيات.

وقد انعكست هذه الطروحات فيما بعد على التنظيمات الطلابية نفسها تيار شيوعي، وأسس تنظيم طلابي وتعاون إلى حد كبير مع الإدارة الاستعمارية، كما برزت أسماء طلابية لامعة في هذا الحقل خصوصا بعد ظهور الأزمة البربرية سنة 1948.

ونتيجة لتشبع هذه الفئة من المثقفين الجزائريين بالمقومات السالفة الذكر، فإننا نجد أن مواقفها من قضايا الجزائر وحتى من السياسة الاستعمارية كانت

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير أ. كيجل حورية/ أ. ايمان قماص

ثالثا-ظروف ميلاد التنظيمات الطلابية

لعل الشيء المتعارف عليه أن الحركة الطلابية في بداية تكوينها قد تعايشت مع الحركة الطلابية الفرنسية، باعتبار أن فئة الطلبة الجزائريين الذين درسوا في الجامعات الفرنسية كانوا السابقين عن غيرهم من الطلبة الجزائريين إلى العمل الطلابي، وهناك جملة من العوامل المساعدة على ميلاد الحركة الطلابية في الجزائر يمكن إدراجها في العوامل التالية:

1- تأسيس جامعة الجزائر وتضيق الخناق على الطلبة الجزائريين

تضييق الخناق على تعليم الجزائريين وتجسد ذلك في غلق المؤسسات التعليمية والدينية وإجبارية التعليم باللغة الفرنسية بدلا من اللغة العربية التي أهملت تماما من التعليم والإدارة، هذا إضافة إلى التشكيك في مصداقيتها وتقسيمها إلى ثلاث لغات هي العربية الفصحى والعامية والعربية الحديثة، وقد وصف ذلك المسخ الثقافي توفيق المدني بقوله: "لقد ضربت فرنسا قطر الجزائر بضربات فتاكة لم يصب بمثلها أي قطر عربي آخر استعمره الفرنسيون" (14).

و إذا كانت الأقلية من الجزائريين يسمح لها بالدخول إلى المدرسة بصفة الامتياز، فإن هذه الأقلية قد أبعدت مع تطور الحس الوطني، و قد أشار إلى ذلك مؤتمر المستشرقين الذي عقد في الجزائر سنة 1908 بقوله: "اعتقادا منا بأن تعليم الوطنيين في الجزائر ينطوي على محاذير حقيقية سواء في المضمار الاقتصادي أو بالنسبة للسكان الفرنسيين فإن المؤتمر قد أعرب عن رغبته في إلغاء التعليم الابتدائي لهؤلاء الوطنيين إلغاء نهائيا، مع العلم أن عدد الأطفال المقبولين للدراسة خلال هذه الفترة قد ناهز 41.000 من أصل 1.781.000 ممن هم في سن الدراسة.

وقد تأسست جامعة الجزائر لإتمام المشروع الاستعماري وظهرت جذورها الأولى في حي القصبة منذ 1859 والمتمثلة في المدرسة التحضيرية للطب والصيدلة، ومنذ صدور قانون جول فيري في 14 ديسمبر 1879 الخاص بتطوير التعليم، وكذا إسهامات بول بير الذي أسس ثلاثة مدارس عليا في القانون

متذبذبة بين السلب و الإيجاب، بل وكانت متخاذلة في العديد من المراسلات، و قد كانت ترى أن أسلوب التعايش مع الاستعمار هو البديل عن سياسة التصادم و الرفض، و ذلك ما أوضحه جوليان بقوله: "نادوا بالتآخي بين المجموعتين الجزائرية و الفرنسية، و لم يطالبوا لا بالوطنية الجزائرية و لا بالمذهب الانفصالي عن فرنسا، بل إنهم لم يعترضوا على أن تصبح الجزائر مقاطعة فرنسية حتى إن بعضهم قد ادعى بأنه ليس في القرآن ما يمنع المسلم من أن يصبح فرنسيا" (13).

ولعل من بين ما أفرزته المدرسة الفرنسية التي فنحت أبوابها لبعض أبناء الأعيان الذين ارتقوا في سلمها التكويني أنه برز جيل جديد من هؤلاء الطلبة مع بداية القرن العشرين، ولكنهم اختلفوا بعض الشيء من جيل الثمانينات في القرن 19، فإذا كان هذا الأخير ظل على موروثه الثقافي والديني، فإن الجيل الجديد ولد ممسوخا، لأنه فتح عينيه على كل ما هو تغريبي منذ طفولته، علما أن الإدارة الاستعمارية تحولت من استيطان الأرض إلى استيطان الفكر

والقيم والمبادئ، وقد تمت الدعوة إلى التجنس والاندماج مع الكيان الفرنسي ورفض الانتماء إلى الهوية العربية والإسلامية وظل على ما هي عليه برغم تطور الأحداث وقد كتب سعد الله حداد هذه الزمرة بقوله: ولكن هل يعني أن حركة الاندماج قد انتهت؟ إن الثورة قد أدت إلى جهر الشعب....ولكن بعض العناصر ظلت مرتبطة بولاءات عديدة كالأصول العائلية العميلة، والروابط المختلطة، والثقافة الفرنسية غير الواعية.

ولا غرابة أن نجد أن هذا الطرح الاندماجي تسمر أيضا بشكل واضح في فكر فرحات عباس خلال الثلاثينات، وهو الذي نفى وجود الأمة الجزائرية ولم يجدها حتى في المقابر. مع العلم أن الرجل تطور تطورًا إيجابيًا تجاه القضية الوطنية خصوصًا بعد مشاركته في الحرب العالمية الثانية متطوعًا ولكنه شاهد بأم عينه التمييز العنصري الذي فرض على المجندين الجزائريين وفيها عاد خائبًا وغير نظرتة تجاه فرنسا.

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير أ. كيجل حورية/ أ. ايمان قماص

الجامعة تؤدي إلى غاية تقنية وهي الإعداد لمهنة أو عمل بل ترمي إلى تنمية قوى الأذهان وتوسيع الآفاق المعرفية وتنشئة المواهب التي تميز الإنسان المثقف، كما أن ميزة الجامعة وجود نشاطات خارج الدروس تتبلور في بعث التنوع الفكري الذي يؤول إلى تنمية ملكة الوعي الحضاري لدى الفئة المثقفة .

2- هجرة الطلبة الجزائريين إلى الخارج

لقد عرفت العشرية الأولى من القرن الماضي هجرة العديد من العائلات الجزائرية نحو بلاد المشرق العربي وخصوصا من منطقة تلمسان، وتذكر المصادر الفرنسية أن أكثر من 20 ألف مهاجرا تركوا الجزائر مع مطلع القرن، وهناك جملة من العوامل الصادرة لذلك منها: الجوانب الدينية والاقتصادية والسياسية، لكن أهم عامل يتمثل في صدور قانون التجنيد الإجباري سنة 1912 وما ترتب عنه من تداعيات عديدة بما فيها الهجرة نحو الخارج.

و قد شملت الهجرة عنصر الطلبة الذين أصبحوا يبحثون عن مناطق آمنة بعد عملية الطرد الداخلية، و ظهور الهجرة نحو الخارج و قد نتج عن ذلك قلة من الطلبة الجزائريين الذين يدرسون في الجامعات و المعاهد خاصة في فرنسا، وقد تأثر هذا النفر من الطلبة بما عايشوه في الخارج، و خاصة وسط الجامعات التي كانت بمثابة خلايا للأفكار والسياسة، فالجامعة مؤسسة تتولى التعليم المهني العالي و تعني بالثقيف الواسع الحر لإنماء الوطنية الصالحة و الوعي الحضاري، كما تقوم بالبحث و الاستكشاف لتوسع نقاط المعرفة الإنسانية، ومن ثم فإن دور الجامعة في الحياة الوطنية هو تهيئة النخبة لتغدو مصدر بعث للحياة الوطنية . وبالفعل قد أخذ العديد من الطلبة الجزائريين بأفكار التحرر وحرية التعبير والقول، وحسب رأي جوليان فإن باريس كانت مصدر إلهام وتأسيس لطلبة المغرب العربي، وقد أشار إلى ذلك بقوله ":

وأرسل قسم من البرجوازية أبناءهم للتعليم بالمعاهد الفرنسية وإتمام دراستهم بباريس، وهناك اكتشف الطلبة للحركة الوطنية الأيديولوجية الديمقراطية

والآداب والعلوم، وأنشأت بالمرسوم المؤرخ في 30 ديسمبر 1909 الذي ضم كل المدارس العليا للجامعة. والحق أن الإجراءات التعسفية الفرنسية لتشكيل ما يسمى: بالتعليم النخبوي المفرنس، كل ذلك ولد الطلبة الجزائريين خصام الشخصية، و نعى لديهم الإحساس بروح المسؤولية وسط الضيم الاستعماري وما آل إليه من نتائج وخيمة على فئة الطلبة الذين عايشوا أحداث الجزائر وتعرفوا على أسلوب الانتخابات و تشكيل الجمعيات والأحزاب، ولو أنهم لم يرتقوا وقتها إلى مستوى التنظيم الطلابي الذي عرفوا به فيما بعد، ومن ثم فقد وصفهم فرحات عباس بقوله "فالحركة الطلابية هي هيئة ثقافية و سياسية كانت تضم الطلبة المسلمين الجزائريين و قد أسماها بجمعية الطلبة".

وكان هدف تأسيسها من الوجهة الفرنسية هو تطوير معارف واستقطاب طلبة شمال إفريقيا، ولذلك تعد من أقدم الجامعات في الوطن العربي وظلت الجامعة الوحيدة على المستوى الوطني حتى الاستقلال.

ومن هنا نصل إلى القول إن تأخير تأسيس جامعة الجزائر يعود أساسا إلى عدم وجود نسبة كافية من أبناء المعمرين ممن لهم الشروط المتوفرة للتسجيل في الجامعة، ومع ازدياد عدد الراغبين في متابعة الدراسة العليا من أبناء المستوطنين تحتم على الولاية العامة من إنشاء جامعة تتكفل هؤلاء الطلبة، وبذلك فتحت فروعاً عديدة لكل حسب رغبته وهي كلية الحقوق، وكلية الطب، الصيدلة، وكلية العلوم وكلية الآداب.

والجامعة تعد قمة النظام التعليمي ولهذا فمن المتوقع منها في ضوء التقاليد وإتقان العمل أن تقوم بقيادة النظام التعليمي، كما يراد منها أن تكون الحارسة الحقيقية والباحثة عن الحقائق الجديدة، بل والمتمردة أحيانا على المعتقدات القديمة الجامدة والمحافظة على تراث المجتمع والمشكلة لشبابه والباحثة على سبل مستقبله.

وإذا كان مدير الشؤون الأهلية قد راهن على ذلك، فإن دور الجامعة عادة ما يتعدى ذلك وقد تمثل في الاطلاع على الأمم ومعرفة مقومات الحضارة وسيرورة التاريخ وازدهار الأمم وانحطاطها، وهناك دراسات أخرى في

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير أ. كيجل حورية/ أ. ايمان قماص

وقد رفعت فرنسا شعارات احتفالية حاملة للحقد الدفين للشعب الجزائري منها:

انتصار الصليب على الهلال، وتشجيع جنازة إسلام، ونحوها من الشعارات المعادية للحضارة العربية الإسلامية ونافية للوجود الجزائري في أرضه المشروعة، وكل ذلك بعث اليقظة الجزائرية من جديد والسعي لإحباط نوايا الاحتلال الحاقده حسب ما أشار إليه الإبراهيمي.

وكانت التحضيرات للاحتفال قد نصرت الرائد والصحف بل كانت قضية الساعة الإعلامية، وانتشر صداها بين المثقفين والطلبة ورجال السياسة ومن دون شك أن ذلك الأثر أجمع الجزائريين أكثر ما فرقههم.

وإذا كانت التحضيرات قد وسعت من ضجر الجزائريين، فإن بعض الأطراف نظرت إليها بنوع من التفاؤل، وخصوصا النخبة الليبرالية التي آمنت إلى حد كبير بالفكر الديمقراطي و المساواة و الحرية، و رأت في الاحتفال مبعثا لتجديد الحياة لكن سرعان ما خابت آمالها فالأعيان المسلمين التابعين للإدارة (الباشاغات، القواد، المنتخبون الذين تباروا في مدح فرنسا و استفادوا من الامتيازات و اختاروا الحلول الوسطى أخذت امتيازاتهم في التلاشي لأن نية الإدارة كانت على اتمام انتصاراتها و كان ذلك واضحا في لهجة الاستفزاز التي طبعت الاحتفالات لا في الجزائر فقط، بل حتى في المؤتمر الإفخارستي الذي عقد في قرطاج بتونس ما بين 7 إلى 11 مارس 1930.

وفي المغرب الأقصى في 16 ماي 1930 وكان ضربة جديدة لمحاربة الديانة الإسلامية وتمجيد العرف والتقاليد وتقسيم المجتمع المغربي إلى طوائف، وقد تزامنت هذه الأحداث الثلاثة في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى وأسهمت بشكل أو بآخر في تقارب وجهات النظر بين شعوب المنطقة واعتبروها حربا صليبية ضد المقدسات الدينية والوطنية .

وقد تركت هذه الأحداث أثرها العميق في نفسية رجال الدين والثقافة وحتى رجال السياسة لدول المغرب العربي، ومن ذلك ما تجلى واضحا لدى حركة النواب الجزائريين الذين عبروا في الكثير من الأوقات على أن

باتصالاتهم برجال السياسة الفرنسيون فأصبحت قاعدة لرغبتهم".

وإذا كان جوليان قد جعل من باريس قبلة استقبال الطلبة الجزائريين، فإن أحد الطلبة قد أوضح في أن المشرق العربي كان هو الآخر قبلة لاحتضان جموع الطلبة، وقد كشف عن جملة من الدوافع والمتمثلة في التخلص من ريقة الاستبداد الاستعماري والفرار من الظلم والاضطهاد كما كانت هجرة الطلبة عن طريق بعثات علمية منظمة أو هجرة حرة قصد الدراسة للحفاظ على تراث الآباء والأجداد وتركيز دعائم العروبة والإسلام في الجزائر. وقد قدرت المصادر الفرنسية عدد الطلبة الذين هاجروا للدراسة بالجامعة الإسلامية سنة 1954 ب 900 طالب نحو الزيتونة و 200 طالب نحو القرويين بفاس و 30 التحقوا بالأندلس في إسبانيا .

أما الإبراهيمي أكد بدوره مدى مساهمة الجالية المهاجرة بما فيها الطلبة في إحياء و بعث حركة النهضة و إرساء ثورة فكرية جديدة عمقت من الحس الوطني و قد عبر عن ذلك بقوله:"ورجع أفراد من إخوان الذي كانوا بالمشرق مهاجرين أو طلابا للعلم و جماعة من تلامذة الأستاذ ابن باديس الذي اكملوا تعليمهم بجامع الزيتونة تنطوي نفوسهم من أساتذتهم على فكره و روحه و من جامع الزيتونة على متونه و شروحه فاستقام الصدد و انفتح السدد و تلاحق المدد و كانت من أصواتنا مسموعة ما يكون من الصيحة رجت النائم و من أعمالنا مجموعة ما يكون من الروافد انصبت في النهر فجاشت غواربه و كانت تلك بداية النهضة بجمع فروعها و الثورة الفكرية بتمام معانيها".

3- الاحتفال الفرنسي بالذكرى المئوية

لاحتلال الجزائر

لقد أدمت التحضيرات الفرنسية للاحتفال بالذكرى المئوية الجرح الجزائري من جديد، وكان استفزاز حرك مشاعر الكثير من الجزائريين باعتبار أن مظاهر هذا الاحتفال كانت ضربة جديدة للمقدسات الدينية والوطنية، بل تحد جديد كشف عن نشوة الانتصار الفرنسي من الوجهة العسكرية والدينية ورفع راية الصليب خدمة للمسيحية.(15)

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير أ. كيجل حورية/ أ. ايمان قماص الاحتفال لم يكن عادلا مقارنة بالحالة المزرية والمأساوية التي كان عليها الشعب الجزائري .

4- الشعور بالميز العنصري و بروز الفكر

الوحدوي لدول المغرب العربي

لم يكن عمل وحدة دول المغرب العربي بالجديد بالنسبة لشعوب المنطقة، بل عرف مراحل الوحدة قبل ذلك وخير مثال ظهور الدولة الموحدية التي استطاعت لم الشمل ولكن الظروف المختلفة عصفت بالمنطقة، ووسع الاستعمار من وحدة الشعوب بعد أن غرس سياسة الميز والتفرقة ونحوها.

وبرغم ذلك فإن فكرة الوحدة لشعوب المغرب العربي ظل قائما وكانت الطموحات كثيرة اتضحت ملامحها أكثر من بروز النهضة وميلاد التيارات السياسية منذ العشرينيات من القرن الماضي، ولذلك انساق العمل الطلابي لتحقيق وذلك الأمل وتجسيده ميدانيا ولو أن الإدارة الفرنسية كانت بالمرصاد لكل اتصال بين منقصي المغرب العربي، وإقامة الحواجز للحيلولة دون تبادل الأفكار والتجارب، ومن تم جاء تأسيس جمعية الطلبة في فرنسا لإحباط تلك المحاولات وجمع صف طلبة المغرب العربي حول القضايا المصيرية المشتركة .

وإذا كان هناك من الطلبة من ساعفه الحظ على الوصول إلى مقاعد الجامعة سواء في جامعة الجزائر أو في الجامعات الفرنسية، فإن ذلك لا يعني من جهة أخرى حصول هذه الشريحة من المثقفين على حقوقها الكاملة في الوسط الجامعي، بل ظلت مهمة ومحتقرة ولم تنل حقوقها كاملة في ميدان الدراسة. (16)

ونجد أن الطابع العنصري الذي ميز الجامعة الفرنسية ومعايشة الطلبة الجزائريين لذلك الميز العنصري مقارنة مع طلبة الكولون الذي يستفيدون بكل الامتيازات المادية والمعنوية على حساب الطلبة الجزائريين الذين كانوا يخضعون لنظام خاص من حيث المعاملة والاستفادة من الحقوق كالخدمات والتكوين والترفيه والنجاح وحتى التوظيف الذي كان يشترط فيه التنازل عن الأحوال الشخصية الإسلامية، ومن تم كان الطالب الجزائري يشعر بالغربة والانطواء في المدرسة أو الجامعة الفرنسية .

أ. كيجل حورية/ أ. ايمان قماص وخلال الحرب العالمية الأولى ظهرت حركة نشيطة في أوروبا مكونة من الشباب القومي التونسي والجزائري، وتذكر التقارير السرية الفرنسية من خلال مراسلة للحاكم العام في الجزائر إلى وزير الداخلية المكلف بالشؤون الخارجية والحرب أن العلاقة أصبحت وطيدة بين حركة الشباب التونسي وجمعية الشباب الجزائري خصوصا في منطقة وادي ميزاب والمقيم العام الفرنسي بتونس الحركة الميزابية بكونها امتداد الحركة البلشفية، وأن التعاون الشباني الجزائري التونسي استغلهم نشاط من حركة الشيخ عبد العزيز طالب والشيخ صالح بن يحيى. وقد أثمر هذا التعاون في إرسال بعثة طلابية من أثرياء.

والحق أن المنفى كان ملجأ بل متنفسا خدم أحاسيس حركة الشباب الجزائري الذي عزز من علاقاته مع الشباب التونسي في ديار الغربة وتجسد ذلك في مذكرة قدمتها هيئة جزائرية تونسية إلى مؤتمر باريس المنعقد في جانفي 1919 ، وجاء في خاتمة المذكرة "إن الشعب الجزائري التونسي يطالب باستقلاله التام ومهيبة بالضمير العالمي ليغترف له بحقه تقرير مصيره بحرية ويرفع مطالبه الشرعية إلى مؤتمر الصلح الذي سيجتمع بعد أيام للنظر في خريطة العالم وإصدار مبادئ جديدة لضمان حقوق الإنسان والشعوب ". وهكذا كان هناك تأثير وتأثر وتمازج بين حركة الجزائر الفتاة وحركة الشباب التونسيين. (17)

وبرغم أن الجامعة الفرنسية كانت مفتوحة لفئة متميزة من الجزائريين كما أسلفنا، إلا أن الطلبة الجزائريين شعروا بذلك الحيف العنصري، وقد عبر فرحات عباس عن ذلك الوضع المأساوي الذي عايشوه بقوله "في تلك الفترة كان الفرنسي والأوروبي هو وحده صاحب الحق في الجزائر، وكان الطلبة الأوروبيون فقط هم الذين يستطيعون أن يكونوا اتحادا عاما للطلبة، وليس للطلاب الجزائري حق الاشتراك فيه ..."

5- تأسيس التنظيمات الطلابية الفرنسية

ميلاد التنظيمات الطلابية العالمية في فرنسا أثناء حكم الجمهورية الثالثة، إذ برزت العديد من التشكيلات الطلابية في الجامعات الفرنسية، منها جمعية الطلبة في

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير أ. كيجل حورية/ أ. ايمان قماص

التعديلات في قوانين المجالس والانتخابات
النيابية 1918.

وقد أشار إلى بداية ذلك التبلور السياسي البشير الإبراهيمي بقوله "بدأت آثار هذا التطور الفكري تظهر بجلاء على إثر انتهاء الحرب ورجوع المجندين الجزائريين إلى بلادهم وكثير منهم يحمل الأوسمة العسكرية وشهادات البطولة ويتقاضى المرتبات الوافرة طول عمره وأهم من هذا كله أنه يحمل فكرة جديدة عن نفسه وعن الفرنسي زميله في الحرب وجاره في السلم وسيدته الموهوم بالأمس وكان لسان الجندي الجزائري يقول لزميله الفرنسي قد عرفناكم فلا سيادة بعد اليوم وكان من آثار هذه الروح الجديدة أن ارتفعت أصوات فردية تطالب بحق الجزائر في الحياة السياسية وتسويته بالأوروبيين في الحقوق بعد أن سوت بينهما الحرب في الواجبات"....

قد أشار إلى ذلك فرحات عباس بقوله "بعد مشاركة شعبنا في الحرب العالمية الأولى سمح لطلبة الجزائريين المسلمين أن يكونوا ودادية، وإذا كانت مثل هذه الخطوة تعتبر في الظرف الراهن شيئا لا قيمة له، فإنها حينئذ كانت تعد انتصارا كبيرا له أهمية كبرى بالنظر إلى القانون الاستثنائي البائد الذي كان يرضخ تحته شعبنا الذي كان يدعى إذ ذاك باسم قانون الأهالي"....

7- مطلب العرائض وبزوغ النهضة

الجزائرية

تكوين الجمعيات والمنظمات الشبانية ففي مطلع القرن الحالي عرفت الجزائر ميلاد العديد من الجمعيات والنوادي التي ساهمت بالقسط الوفير في تنمية الحس الوطني، وخاصة منه الجمعيوي والطلائي، مثل الجمعية الرشيدية والتوفيقية ونادي صالح باي ونادي الجزائر، وتشكيل الفرق المسرحية والفرق الرياضية والجمعيات الدينية ونحوها وتجدد العمل بالعرائض. وتعد عريضة 1912 من أهم العرائض التي قدمتها مجموعة النخبة المثقفة برئاسة الشريف بن حبيلس إلى الحكومة الفرنسية وبالرغم من الإخفاق الذي مني به المثقفون الجزائريون آنذاك لم يطالبوا بالاستقلال، لكن اليأس لم يدب في نفوسهم وظل الأمل يراودهم في الوصول إلى

كل من جامعة نانسي سنة 1877، وفي جامعة بوردو سنة 1882 وباريس سنة 1884 وفي جامعة ليون وفي ليل عام 1907، ومرحليا تعايشت هذه التشكيلات الطلابية وتوحدت تحت أسم الاتحاد الوطني للجمعيات الطلابية الفرنسية.

وقد أسس الاتحاد الوطني للجمعيات الطلابية الفرنسية فروعاً له في الجامعات المتواجدة بالمستعمرات ومنها الجزائر وحسب بير فيلي فإن الاتحاد الوطني تحول فيما بعد إلى الاتحاد الوطني يهدف جمع شمل الطلبة إلى اختلاف توجهاتهم وتحقيق قوة فاعلة (U.N.E.F) لطلبة فرنسا للدفاع الموحد عن مصالح الطلبة.

ولذلك فمن دون شك أن الطلبة الجزائريين قد عاصروا هذه التشكيلات الطلابية سواء في فرنسا أو في جامعة الجزائر، وأخذوا عنها العمل النضالي الطلائي، إذ تذكر النشرة السنوية لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا أن عدد طلبة المغرب العربي بفرنسا ما بين 1931 و1932 بلغ حوالي 152 طالبا منهم 11 من المغرب و21 من الجزائر 119 من تونس.

كما شهدت باريس ما بين 6 إلى 10 أكتوبر 1908 مؤتمر شمال إفريقيا، وقد حضرته نخبة من الشباب التونسي ونحن هنا نستبعد المشاركة الجزائرية في مثل هذا اللقاء، وكان مؤتمر باريس حافزا لتنوير الرأي الأهلي لشعوب منطقة شمال إفريقيا.

6- مشاركة الشباب الجزائري في الحرب

العالمية الأولى 1914-1918

مشاركة الشباب الجزائري في الحرب العالمية الأولى، ومساندة دول الحلفاء وخدمتهم ماديا ومعنويا، وتقديم ضريبة غالية في جهات القتال ومصانع البارود والأسلحة، واحتكاكهم عن قرب بالواقع الأوروبي وما آل إليه في مجال التفكير والهيمنة والتسلط، وعندما خشيت فرنسا من ردود الفعل الجزائري المبكرة خففت الخناق على الأهالي وخاصة الشباب المتعلم، وكانت رسالتها الجديدة تتمثل في تقديم الخدمات امن وقفوا معها في المحنة وذر الرماد في أعينهم إدخال بعض

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير أ. كيجل حورية/ أ. ايمان قماص

الجزائرية المسلمة ظل بصيص الأمل، وتجلت بوادر الحياة التعليمية. وهكذا عرفت مناطق عديدة من الوطن مع بداية القرن ميلاد مدارس قرآنية ولكنها تجنح نحو الخط العصري، وهي متأثرة إلى حد ما بتجارب البلاد العربية والإسلامية. (19)

ومن هنا يمكن القول إن تنامي التعليم بالمدرسة الجزائرية الوطنية فتح الأفاق أمام الشريحة العريضة من الأطفال الجزائريين، إذ يذكر المدني أنه في حدود 1931، وصل عدد المدارس على الخط الجديد حوالي 300 مدرسة تستقطب قرابة 3000 تلميذ من مجموع 780 ألف ممن هم في سن الدراسة.

وبتطور الزمن أصبحت المدرسة الجزائرية أشبه ما يكون بالمشكلة التي تكون الطلبة العاملين في الحقل الخيري والاجتماعي والسياسي، وهي الوعاء الأساسي لغرس الوطنية في نفوس الطلبة الجزائريين وطلبة المغرب العربي.

ومع تطور الأحداث واتساع الإقبال على مؤسسات التعليم في المدارس والنوادي التي كانت تابعة لجمعية العلماء المسلمين وحتى حزب الشعب الجزائري وازداد الاهتمام الفرنسي بمراقبتها والتشديد عليها، وبرغم ذلك فقد ذكرت التقارير أن كل ذلك لم يقلل من عزيمة المشرفين عليها، وارتفع عددها من 22 مؤسسة سنة 1930 إلى 234 سنة 1938.

ومن ثم فقد أكدت العديد من الكتابات التاريخية أن قوة مرجعية نمو الوعي الوطني والديني لدى الطلبة الجزائريين تعود أساسا إلى مرحلة الثلاثينات وبالأخص بعد انتشار مبادئ جمعية العلماء واتساع دراساتها الرفاعة لشعارك "الاسلام ديننا العربية لغتنا الجزائر وطننا" والاستقلال لحق طبيعي لكل شعوب الأرض. (20)

9- احتكاك الطلبة الجزائريين مع الطلبة

الفرنسيين والمغاربية

نمو وتبلور الشعور والفكر الوحدوي، في خطابات شعوب المغرب العربي نتيجة القواسم المشتركة من ضييم الاستعماري وفاعل تاريخي ولغوي وديني وحتى مصيري، وتعززت تلك الروابط خصوصا بعد موجات

تحقيق جملة من الحقوق التي يتمتع بها المستوطنون، وإن يعاملوا في بلادهم وهم الشرعيون كما يعامل المستوطنون الدخلاء. (18) وكل ذلك لم يكن بعيدا عن شرعية الطلبة باعتبارها الفئة المتعلمة ولذلك فلا غرابة أن نجد خلال الثلاثينات ميلاد شباب المؤتمر الإسلامي سنة 1936.

وقد عالج سعد الدين بن أبي شنب تلك النهضة بنوع من الإسهاب وأشار إلى حل العوامل الداخلية والدولية المحيطة بها، بالإضافة إلى بروز تلك اليقظة في كل مظاهر الطباعة والتأليف والكتابة وتطوير مناهج التعليم وبروز الصحافة العربية وتغذية الحس الوطني وبروز اعلام إصلاحية ساهمت بالقسط الوفير في أرضية البناء الوطني بعد ميلاد الحركة السياسية خلال العشرينات من القرن الماضي.

8- نمو الوعي الوطني بالمدرسة الجزائرية

فقبل اندلاع الحرب عرفت الجزائر حركة انبعاث ثقافية هامة وخصوصا خلال حكم جوناك على رأس الولاية العامة في الجزائر. ومع تطور الأحداث برزت المدارس العربية الحرة، وقد تطورت هذه المدارس الحرة مع بداية الثلاثينات وأصبحت بمثابة الوعاء الإسلامي لغرس حب الوطن وإذكاء الحس في نفوس الطلبة الجزائريين و-الحكومة الفرنسية- تعمل على ثقل اللغة العربية وتحطيم الدين الإسلامي وعلى تجهيل الأمة، والعلماء المسلمون يعملون في خط مناقض للخط الحكومي فهم يقومون بالجهود المحمودة لإحياء الدين وتطهيره من الخرافات ونشر اللغة ورفع الأمية عن الجزائر غير مباليين بالعقبات ووسائل الزجر والتنكيل...

والظاهر أن الخناق الذي ضربته فرنسا على تعليم الجزائريين عرف طريق النور بعد صدور قانون 18 أكتوبر 1892 الذي ينص على إمكانية فتح المدرسة الحرة ولو أن القانون ظل مقرونا بموافق الإدارة الاستعمارية أولا وأخيرا ومع تزايد ضغوط ومطالب رجالات الحركة الوطنية، بفتح المدارس الحرة وعجز الإدارة الاستعمارية على توفير المدارس لأبناء البلاد، واشتغال لهيب الغيرة على اللغة العربية ومقومات الأمة

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير أ. كيجل حورية/ أ. ايمان قماص

أسسها علال الفاسي في فاس، والجمعية الثقافية التي ترأسها المختار السوسي، والرابطة المغربية بالرباط و التي سيرها كل من أحمد بلا فريج و المكى الناصري، ومحمد القباچ و محمد بنونة.

وقد سيطرت على الساحة الجامعية ظاهرة الميز العنصري وتسلط الطلبة الفرنسيين على حساب الطلبة الجزائريين وأصبح جليا ضرورة التفكير في تنظيم طلابي جزائري لجمع الشمل والتصدي لردود الفعل الطلابية الفرنسية، وذلك ما كشفت عنه نشرة الطلبة الجزائريين بعد ميلاد التنظيم الطلابي بقولها: "تأسست الجمعية في شهر ديسمبر 1927 لسد حاجة أحسنها طلبة شمال إفريقيا المسلمين في ذلك العهد، إذ كانوا بالرغم من عددهم الكثير يجهلون بعضهم بعضا، ولا يجتمع الواحد منهم بأخيه إلا بفضل الصدفة، على إننا نرى الطلبة في كافة الأقطار لهم جمعيات يلتفون حولها فتلم شملهم، و تؤازر الضعفاء منهم فكيف يتسنى لنا نحن أبناء بلاد واحدة أن نبقى متفرقين..."

هكذا إذا توفرت جملة من العوامل الداخلية والخارجية ساهمت في ميلاد العمل الطلابي المنظم في الجزائر، وكانت الولادة تعد بحق بداية جديدة في تاريخ الجزائر الثقافي من جهة، ومن جهة أخرى فتح نافذة جديدة على إقحام الشريحة المثقفة في قضايا الجزائر المعاصرة وتحديد الآفاق المستقبلية للجزائر التي كانت ترزخ تحت وطأة الكابوس الاستعماري.

وبذلك دخل الطالب والمثقف الجزائري في معركة جديدة ضد سياسة الاستعمار الفرنسي، وأصبح رجل الثقافة طرفا في البحث على المعارضة الوطنية التي اتضحت معالمها بعد تأسيس الحياة السياسية المنظمة مع مطلع العشرينيات من القرن الماضي.

خاتمة

مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عرفت الجزائر نقلة نوعين في حركية البناء الفكري وبروز طبقة جديدة من جيل المثقفين الذي ورث عن أسلافه المخضرمين بعض الملامح الثقافية غير أن انتسابه إلى مرحلة جديدة أكسبته بعض النضج واليقظة المرتبطة بقضايا المجتمع والوطن ولو أن نضج

الهجرة الجزائرية باتجاه تونس والمغرب هروبا من القهر الاستعماري من جهة، والنهل من المعاهد التعليمية من جهة أخرى، وبالمقابل تردد الطلبة التونسيون والمراكشيون هم أيضا على جامعة الجزائر.

تعد تونس من الأقطار التي فتحت أبوابها لاستقبال الهجرة الجزائرية سواء بغرض الإقامة أو بغرض التمدرس أو الصبور باتجاه دول أخرى، وكانت الزيتونة المحطة الهامة التي جلبت العديد من أبناء الجزائر بغية التكوين، إذ وصل عدد المهاجرين الجزائريين تونس ما يقارب 1200 مهاجر سنة 1936 وارتفع إلى 40816 ليصل سنة 1946 إلى 50000 مهاجر وكانت بلاد القبائل من أكبر المناطق التي نزح منها السكان إذ هاجر منها 7000 واستقر معظمهم في العاصمة التونسية.

واستقطبت المغرب هي بدورها العديد من المهاجرين الجزائريين ومنهم الطلبة الذين التحقوا بجامعة القرويين بفاس، ففي سنة 1926 بلغ عدد المهاجرين الجزائريين 7800 مهاجرا وارتفع العدد سنة 1931 إلى 11700، ليصل سنة 1936 إلى 15500 أما سنة 1947 بلغ 32916، ولكن العدد انخفض سنة 1951 إلى 31767 مهاجرا.

10- فرض سياسة التجنس على الطلبة

الجزائريين

طرد الطلبة الجزائريين من صفوف الطلبة الفرنسيون بدعوى أنهم غير متجنسين وأنهم لا يملكون الحقوق الفرنسية نفسها (21)، ومن تم فلا يحق لهم الاختلاط والبقاء والدراسة والاستفادة من الخدمات الاجتماعية كما هو الشأن لدى الطلبة المعمرين كل ذلك من قناعة تفعيل العمل الطلابي الجزائري.

وقد راهنت فرنسا على تفكيك المجتمع الجزائري من خلال إصدارها للعديد من المراسيم كمرسوم سنتوس كونسلت الصادر سنة 1865 والذي يمنح المسلمين الجزائريين حق المواطنة الفرنسية شريطة التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية، و إذا رفضوا فإنهم يبقون منذ 1926 عرفت بعض المدن المغربية بروز نشاطات جمعوية سياسية و ثقافية هامة قام بها مجموعة الطلبة كالجمعية السياسية السرية التي

- مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير أ. كيحل حورية/ أ. ايمان قماص
- الفكرة لن يكتمل بعد وظل التكوين والمطلب يتراوحان في ظل الوجود الاستعماري والأبوة الفرنسية.
- وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تنوعت روافد التكوين الفكري والثقافي وبرز بالمسار الثقافي رافدين أساسيين في تلقين الناشئة واتضح الازدواجية في الاهتمام بجيل ما بعد الحرب، فالاتجاه الأول رسمي، أما الاتجاه الثاني تمثل في التعليم الحر الذي أسهمت فيه الحركة الإصلاحية وكان مضمونة يركز أساسا على ضرورة استعادة مقومات الهوية الوطنية وتكوين جيل جزائري جديد جزائري رافض للطرح الاستعماري بعد أن تشبع بالقيم والأفكار الوطنية والدينية.
- وقد نتج عن مرجعيات التكوين بروز شريحتين طلابيتين أساسيتين خلال مرحلة الثلاثينيات هما فئة الطلبة المتواجدين في الجامعات الفرنسية والأجنبية. وقد أخذوا بالمبادئ التي وجدوها في محيطهم الثقافي وحياتهم الجامعية، بل ناضل بعضهم داخل المنظمات الفرنسية، في حين تأسست فئة أخرى من المنظمات الطلابية في الجامعات العربية والإسلامية وأخذت هي الأخرى مما وجدته في محيطها الثقافي والبيداغوجي.
- وبرغم الاختلاف في المشارب الدينية واللغوية وحتى الاجتماعية للنخبتين الطلابيتين فإن هناك قواسم مشتركة بينهما تمثلت في النضال والمطالبة بالحقوق والاستفادة من المحيط والتأقلم معه وخصوصا في مثل أوضاعهم البعيدة عن الوطن. وقد ساعد ذلك من تمكين النضال الطلابي وبرز تنظيمات مختلفة المشارب خصوصا بعد ميلاد الحركة السياسية الوطنية، وأصبح كل تيار سياسي يراهن على جموع الطلبة باعتبارها قوة حية في المجتمع.
- 2- حسين صعب، ثورة الطلاب في العالم، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1968، ص 33.
- 3- محمد قناش، الحركة الاستقلالية في الجزائر، ط 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1983، ص 40.
- 4- Centre Culturel Algérien, L'étoile Nord-Africaine et le Mouvement National Algérien, (Publication du centre culturel Algérien), Paris 1988, P87.
- 5- مصالح الصالح، الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية ط 1، دار عالم الكتب المملكة السعودية، 1999، ص 185.
- 6- عبد القادر جفلول، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر- ترجمة سليم قطوس، ط 1 دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، 1984، ص 06.
- 7- Fanny Colonna, les instituteurs Algériens 1883/1939(o.p.u Alger 1975). p32
- 8- صالح جديد، الانتليجانسيا الشابة والزمن نحو التحرر، جريدة رسالة الأطلس، عدد 235، الموافق ل 5-11 أفريل 1999.
- 9- Maurice Paulard ; l'enseignement pour les indigènes en Algérie (3) (imprimerie administrative Alger 1910), p422.
- 10- رابح تركي، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد إصلاح التربية في الجزائر، ط 4، المؤسسة الوطنية للكتب، 1984، ص 285.
- 11- Malek Haddad, les zéros tournent en nord, (éd Maspero 1961), P45.
- 12- Roger le tourneau, évolution de L'Afrique au Nord Musulmane 1920-(2) 1961(Paris1962), P142.

قائمة المراجع

- 1- أسعد أحمد علي، الطلاب وإنسان المستقبل، ط 1، دار الرائد العربي بيروت، 1971، ص 34.

مرجعيات الحركة الطلابية الجزائرية وظروف نشأتها خلال حرب التحرير أ. كيحل حورية/ أ. ايمان قماص

- 13- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية
تسير، ترجمة المنجي سليم وآخرون، ط1، الدار
التونسية للنشر والتوزيع، لجزائر، 1976،
ص110.
- 21- عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية
مشارب ثقافية وإيديولوجية، 1871-1962، ط2
(منشورات المتحف الوطني للمجاهد)، 1995،
ص38.

- 14- أحمد توفيق المدني، الثورات الجزائرية عبر
التاريخ، مجلة المعرفة، العدد6، نوفمبر1963،
ص6.

15- Jean Melice, le centenaire de la conquête
de l'Algérie et les réformes indigène (paris
1930), P63.

16- Tayeb Belloula, Les Algériens en France
leur passé leur (1) participation à la lutte de
libération National leur perspectives
(édition national Algériennes 1965), P28.

17- Mahfoud smati, Les élites algériennes
sous la colonisation (2), Tome : 1, (édition
dahlab Algérie 1998), P 231.

18- آلان سفاري، ثورة الجزائر، ترجمة نخلة
كلاس، مطابع إدارة الشؤون العامة، 1961،
ص48.

19- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص
239.

20- Louis Mouilleseaux, histoire de l'Algérie
1962), P398. (paris (2)